اليهودية وعبادة الشمس

يثبت القرآن حقيقية ملازمة للشخصية اليهودية وهي نزوعها السريع إلى الوثنية منذ أن أرسل الله إليهم رسوله موسى عليه السلام. يقول تعالى: ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. ويقول تعالى: ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوارٌ ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ [الأعراف: ١٤٨] وكانت عبادة العجل هذه مما ورثوه عن الفراعنة الذين عبدوا العجل «هابيس» Apis السالف الذكر.

لكن انغماس بني إسرائيل في الوثنية كان بعد اختلاطهم بالكنعانيين والأشوريين والبابليين الوثنيين. فبعد أن انتصر نبي الله «يوشع بن نون» عليه السلام على الجبارين ودخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة، تأثروا بما كان عليه الكنعانيون من عبادة بعل «الإله الشمس» وعشتاروت (أو عشتار) «ملكة السماء» فكانت الوثنية بذلك ملازمة لبني إسرائيل منذ عهودهم الأولى. نقرأ

في الفصل الثاني من سِفر القضاة :

" وَكَذَلِكَ مَاتَ أَيْضاً كُلُّ جِيلِ يَشُوعَ [أي يوشع بن نون عليه السلام]، وَأَعْقَبَهُمْ جِيلٌ آخَرُ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ وَلاَ كُلَّ أَعْمَالِهِ الَّتِي أَجْرَاهَا مِنْ أَجْلِ إِسْرَائِيلَ. وَاقْتَرَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ [واحدها «بعل»]، وَنَبَذُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَغَوَوْا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ أَوْثَانِ الشُّعُوبِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ، وَسَجَدُوا لَهَا، فَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ"(١) .

بقي بنو إسرائيل على حالهم تلك حتى أرسل الله إليهم نبيهم «صموئيل» ليقاتلوا معه "الفلسطينيين" . فخاطبهم قائلاً : " . . . انْزِعُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ وَأَصْنَامَ الْعَشْتَارُوثِ مِنْ وَسَطِكُمْ، وَهَيِّئُوا قُلُوبَكُمْ لِلرَّبِّ وَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، فَيُنْقِذَكُمْ مِنْ قَبْضَةِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ "(٢) . ويقال إن «صموئيل» هذا هو النبي الذي أخبر عنه الله بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . ﴾ [البقرة : ٢٤٦]، فبعث الله لهم «طالوت» ملكاً - وكان من رجاله داود عليه السلام - ونصر الله الفئة المؤمنة وقتل داودُ «جالوت» وآتاه الله الملك والحكمة. ثم خلفه ابنه سليمان عليه السلام فسار بهم سيرة أبيه.

هنا يزعم اليهود أن سليمان بن داود عليهما السلام عبَدَ «عشتاروت» ثانية وأقام الهياكل لعبادة آلهة الأمم الأخرى وهو من الإسقاط الذي يعبر عن حالهم

---

(١) سفر القضاة ٢ : ١٠-١٣ .

(٢) صموئيل الأول ٧ : ٣ .

هم. وقد نُسبت هذه الفرية إلى سليمان عليه السلام بعد سبي اليهود إلى بابل حيث مصنع الشخصية اليهودية الوثنية.

السبي البابلي والهيكل الثاني:

بعد أن توفي سليمان عليه السلام تولى المُلكَ بعده ابنُه «رحبعام» وبايعه ببيت المقدس سِبطا يهوذا وبنيامين. لكن بقية الأسباط بايعوا أخاه «يربعام»، فكان أن انقسمت المملكة إلى مملكتين: إحداهما «مملكة إسرائيل» في الشمال وعاصمتها «نابلس» (أو «شكيم»)، والأخرى «مملكة يهوذا» في الجنوب وعاصمتها «أورشليم» (أو «بيت المقدس»).

في ظل هذه المملكة المنقسمة تقدم «إيليّا» (إلياسُ عليه السلام) يدعو إلى توحيد الله أمام ملك إسرائيل «أخآب» و "أَنْبِيَاء [أي كهنة] الْبَعْلِ الأَرْبَع مِئَة وَالْخَمْسِينَ، وَأَنْبِيَاء عَشْتَارُوثَ الأَرْبَع مِئَة[1]... "[2] فكذبوه. قال تعالى: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين (١٢٣) إذ قال لقومه ألا تتقون (١٢٤) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين (١٢٥) الله ربكم ورب آبائكم الأولين (١٢٦) فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ [الصافات: ١٢٣ - ١٢٧].

لم يكن «أخآب» بِدعاً من ملوك إسرائيل الذين نصروا بعلاً وعشتار، فسفر الملوك الثاني يخبرنا عن «مَنَسَّى» قائلاً:

"... وَشَيَّدَ مَعَابِدَ الْمُرْتَفَعَاتِ... وَأَقَامَ مَذَابِحَ الْبَعْلِ، وَنَصَبَ تماثيل

(١) هذا عدد الأنبياء (أي الكهنة) فكيف الأتباع!

(٢) الملوك الأول ١٨. يسجل هذا الإصحاح طقوس عبادة "بعل" من دعاء وعويل ورقص وضرب للأجساد بالسيوف والرماح حتى تَدمَى، وهو من موروثات بابل الوثنية.

عِشْتَارُوث عَلَى غِرَارِ مَا صَنَعَ أَخْآبُ، وسجد لكواكب السماء وعبدها . . . وَبَنَى فِي دَارَيْ هَيْكَلِ الرَّبِّ مَذَابِحَ لِكُلِّ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ. وأجاز ابْنه في النار [قربانا لبعل]، ورصد الأوْقات [أي مارس التنجيم] ولجأ إلى أصْحاب الجان والعرافين وَأَوْغَلَ فِي ارْتِكَابِ الشَّرِّ مِمَّا أَثَارَ عَلَيْهِ غَضَبَ اللهِ الرَّهِيبَ. ونصب تمْثال عشْتارُوث الّذي صنعهُ في الهيكل".

فتوعدهم الرب قائلاً: " . . . هَا أَنَا أَجْلِبُ شَرّاً عَلَى أُورُشَلِيمَ وَيَهُوذَا، فَتَطِنُّ أُذُنَا كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ بِهِ. وَسَأُوْقِعُ عَلَى أُورُشَلِيمَ الْعِقَابَ الَّذِي أَوْقَعْتُهُ بِالسَّامِرَةِ، وَبِأَخْآبَ وَنَسْلِهِ. وَأَمْسَحُ أُورُشَلِيمَ مِنَ الْوُجُودِ كَمَا يُمْسَحُ الطَّبَقُ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ، ثُمَّ يُقْلَبُ عَلَى وَجْهِهِ لِيَجِفَّ. وأنبذ بقية شعْبي وأسلمُهم إلى أيْدي أعْدائهم، فيُصْبحُون غنيمةً وأسْرى لهُمْ، لأَنَّهُم ارْتَكَبُوا الشَّرَّ فِي عَيْنَيَّ، وَأَثَارُوا سَخَطِي مُنْذُ خُرُوجِ آبَائِهِمْ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ[1]" .

بقيت عبادة آلهة الوثنيين في بني إسرائيل في زمن «آمون بن مَنَسَّى» وبعده الملوك «يهوآحاز» و«يهوياقيم» و«يهوياكين» - الذي أسره «نبوخذنصر» - وأخيراً الملك «صدقيا». فسلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب. فبعد أن قضى الملك الأشوري «سرجون» على مملكة إسرائيل الشمالية عام ٧٢١ ق.م. وأزال شعبها قتلاً وتشريداً، زحف فرعونُ مصر على مملكة يهوذا فاحتلها واستمر في زحفه إلى مملكة إسرائيل التي استولى عليها الأشوريون. فثار لذلك «نبوخذنصر» الذي كان قد آل إليه عرش بابل بعد الأشوريين وزحف على فلسطين وهزم فرعون مصر ودمر هيكل سليمان - بل مسجد

(١) الملوك الثاني ٢١ : ١-١٥ .

المسافر هم

سليمان عليه السلام – وسبى أكثر اليهود إلى بابل، وفر آخرون إلى مصر، وكان ذلك عام ٥٨٦ ق.م.

كان ممن أُخذ قسراً إلى مصر «إرميا» النبي الذي كان يَنهى بني إسرائيل عن بناء "مُرْتَفَعَاتٍ لِعِبَادَةِ الْبَعْلِ لِيُحْرِقُوا بَنِيهِمْ بِالنَّارِ كَقَرَابِينَ مُحْرَقَاتٍ لِلْبَعْلِ"[1]. وهناك في مصر استمر واعظاً من فرّ من قومه كما كان يعظهم في الهيكل من قبل[2] فأجابوه:

"لَنْ نُطِيعَكَ فِي مَا خَاطَبْتَنَا بِهِ مِنْ كَلاَمٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، بَلْ نَعْمَلُ بِمُقْتَضَى مَا تَعَهَّدْنَا بِهِ، فَنُحْرِقُ بَخُوراً لِملكة السَّماء [أي عشتار] ونُقرِّبُ لها السَّكائب كما سبق أَنْ فعلنا نَحْنُ وَآباؤنا وَمُلوكُنا وَرُؤساؤنا في مُدُن يَهوذا وَفي شَوارِع أُورُشليم، فَكَانَتْ لَنَا وَفْرَةٌ مِنَ الطَّعَامِ وَتَمَتَّعْنَا بِالْخَيْرِ وَلَمْ يُصِبْنَا شَرٌّ. وَلَكِنْ مُنْذُ أَنْ أَهْمَلْنَا إِحْرَاقَ الْبَخُورِ لِمَلِكَةِ السَّمَاءِ وَتَقْرِيبَ السَّكَائِبِ لَهَا، افْتَقَرْنَا إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَفَنِينَا بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ». وَقَالَتِ النِّسَاءُ: «عِنْدَمَا أَحْرَقْنَا الْبَخُورَ لِمَلِكَةِ السَّمَاءِ وَقَرَّبْنَا لَهَا السَّكَائِبَ وَعملنا أقراصاً مُماثلة لصورتها، وَقَرَّبْنَا السَّكَائِبَ لَهَا هل فعلنا ذلك بغير علم أزواجنا؟»"[3].

وهذا صريح في أن اليهود كانوا يعبدون «بعلاً» و«عشتار» بكل ما تتطلبه تلك العبادة من طقوس وقرابين ومُحرَقات حتى قبل السبي البابلي، "كما سبق أن فعلنا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا وَمُلوكُنا وَرُؤَسَاؤُنَا فِي مُدُنِ يَهُوذَا وَفِي شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ". وكانوا يلقبون «عشتار» بـ«ملكة السماء» («مِلْخِتْ هَشَّمَايِم») في

(١) إرميا ١٩: ٥.
(٢) إرميا ٧.
(٣) إرميا ٤٤.

النص العبراني) كما كان يصنع سكان بلاد الرافدين[١]. بل إن النسخة الآرامية للعهد القديم والتي تعرف بـ«التَّرجوم» تترجم العبارة بـ«كوخْفَت شْمَيّا» أي «كوكب السماء» والمراد كوكب الزهرة.

لقد كان الجلاء من فلسطين عقوبة على شرك اليهود وتمردهم وهو ما أشار إليه «إرميا» في رده عليهم: «... إنَّ الْبَلاَءَ الَّذِي حَلَّ بِكُمْ كَمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ هُوَ عِقَابٌ لَكُمْ عَلَى إِحْرَاقِكُمُ الْبَخُورَ وَتَعَدِّيكُمْ عَلَى الرَّبِّ وَعِصْيَانِكُمْ لِصَوْتِهِ، وَعَدَمِ سُلُوكِكُمْ فِي شَرِيعَتِهِ وَفَرَائِضِهِ وَشَهَادَاتِهِ».

فلما سقطت بابل بأيدي الفرس على يد الملك «كورش» سمح هذا الملك الوثني لليهود بالعودة إلى فلسطين وكان ذلك سنة ٥٣٨ ق.م. فعادت طوائف من اليهود إلى بيت المقدس وآثرت طوائف أخرى البقاء في أرض بابل. وعمدت الطائفة العائدة إلى بناء «الهيكل الثاني» لكنهم لم يمنحوا استقلالاً بل كان الحكم الفارسي هو المسيطر.

مدرسة فارس[٢]:

لقد كان «كورش» يدرك أن إعادة اليهود إلى فلسطين وحكمَهم بعملاء من أنفسهم خير من أن يكونوا عالة على فارس فهم داء حيثما حلوا[٣]. فأرسل

(١) سبق أن أشرت إلى أن اسم «إنانا» السومري يعني في صورته القديمة «ملكة السماء».

(٢) لم توجد مدرسة بهذا الاسم، وإنما عنيت بها المحضن الوثني في بابل - بعد أن أصبحت تحت حكم فارس - والذي عانقت فيه وثنية اليهود وثنية الفرس والبابليين برعاية البلاط الفارسي و«كهنة اليهود» وعلى رأسهم «عزرا» ملفق التوراة المزيفة.

(٣) وهذا ما أدركه اليسوعيون في بريطانيا حين أرسلوهم إلى فلسطين باسم «وعد بلفور» وأبقوهم تحت سلطة الصهاينة العملاء الذين يحمون القدس للبابا!

المسلم

اثنين من يهود «مدرسة فارس» - بل لعلهم مجوس أصلاً - ليحكموا اليهود العائدين ويتولوا إعادة بناء الهيكل بأمر من الملك الفارسي «كورش» بعد أن دمره البابليون. فأسس بناءَ الهيكل «شِيشْبَصَّر» (ومعناه: «أيتها الشمس احرسي الأب»(١)). وأتم البِنَاء «زوروبابل» (ومعناه: «زَرْعُ بابل»(٢))، وأصبح الهيكل يعرف باسم «الهيكل الثاني» The Second Temple.

فما ظنك بهيكلٍ يأمر ببنائه ملكٌ فارسي وثني ويبذل في سبيل ذلك أكواماً من الذهب والفضة - كما يذكر سفر عزرا - ويشرف على هذا البناء «عابدٌ للشمس» و«مُنتجٌ بابلي»؟ نقرأ في سفر حِزقيال وصفاً لحال «الهيكل الثاني» وسدنتِه وشيوخِه والمُصلِّين فيه بعد السبي البابلي. يقول حزقيال:

"فَدَخَلْتُ وَنَظَرْتُ، فَإِذَا كُلُّ تَصاوير أَشْكَالِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ النَّجِسَةِ، وَجمِيعُ أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ مَرْسُومَةٌ عَلَى كُلِّ جوانب الْجُدرانِ، وَقَدْ مَثَلَ أَمَامَهَا سَبْعُونَ رَجُلاً مِنْ شُيُوخِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ . . . وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِجْمَرَتُهُ تَتَصَاعَدُ مِنْهَا غَمَامَةٌ عَطِرَةٌ مِنَ الْبَخُورِ . . . ثُمَّ أَحْضَرَنِي [ملاك الرب أو نحوه] إِلَى الْمَدْخَلِ الشِّمَالِيِّ لِبَوَّابَةِ هَيْكَلِ الرَّبِّ، فَإِذَا هُنَاكَ نِسَاءٌ يَنْدُبْنَ تَمُوز . . . ثُمَّ أَحْضَرَنِي إِلَى الْفِنَاءِ الدَّاخِلِيِّ لِبَيْتِ الرَّبِّ، فَإِذَا عِنْدَ مَدْخَلِ هَيْكَلِ

(١) أو "أيها الإله «سين» احرس الأب [أو الابن]". أنظر:

International Standard Bible Encyclopedia "Sheshbazzar" (CD version, BibleWorks, LLC, 2003)

Fensham, Frank Charles. *The Books of Ezra and Nehemiah: New International Commentary on the Old Testament* (Wm. B. Eerdmans Publishing, 1982), p. 46.

(2) *International Standard Bible Encyclopedia*, "Zerubbabel".

الرَّبِّ بَيْنَ الرِّوَاقِ وَالْمَذْبَحِ نَحْوُ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً أَدَارُوا **ظُهُورَهُمْ لِهَيْكَلِ الرَّبِّ**، وَاتَّجَهُوا بِوُجُوهِهِمْ نَحْوَ الشَّرْقِ **سَاجِدِينَ لِلشَّمْسِ**[١]".

إن هيكلاً يُندب فيه «تموز» ويسجد فيه للشمس بمباركة «شيوخ شعب إسرائيل» لَحَرِيٌّ أن يدعى «هيكل الشمس» لا «هيكل سليمان» عليه السلام.

يقول «قاموس آنكور الكتابي» Anchor Bible Dictionary تحت مدخل بعنوان «الشمس»: "بقيَت عبادةُ الشمس بعد السبي واحدة من العبادات الوثنية الأكثر شيوعاً بين يهود فلسطين كما تشهد بذلك المصادر الخارجية... لقد صُرفت بعض الصفات التي كانت تخص الشمس المؤلهة إلى يَهْوَه [معبود اليهود] الذي اكتسب بذلك مظهراً شمسياً".

ثم يضيف:

> إن عدداً من العلماء يرى أن الهيكل في أورشليم **صُمِّم كمركز لعبادة الشمس** حيث يُعبد الربُّ كإله شمس... لقد قام الرب في إسرائيل بالدور الذي أوكل إلى «شَمَش» («أوتو» السومري) في بلاد الرافدين، و«آمون-رَع» في الديانة المصرية إبان المملكة الجديدة[٢].

وفي معرض حديثه عما يرمز إليه «بعل» يقول «قاموس كالميه للكتاب المقدس» Calmet's Dictionary of the Holy Bible:

---

(١) حزقيال ٨.

(2) *Anchor Bible Dictionary*, "Sun".

"من المتفق عليه عموماً أن «بعلاً» كان يمثل الشمس. وبهذا الإقرار يمكن بسهولة تفسير كل الشخصيات التي يتقمصها في الكتاب المقدس. لقد كان هذا النَيِّرُ العظيم [الشمس] يُعبد في كل المشرق، وهو أقدم إله اعترف به الوثنيون . . . لقد كان العبرانيون يدعون الشمس أحياناً «بَعَل شِمِش» أي بعل الشمس".

بل إن القرابين البشرية كانت تقدم لبعل باعتباره إله شمس. يقول «**قاموس كالميه للكتاب المقدس**»:

> كانت الضحايا البشرية تقدم لبعل كما لو كانت للشمس. «مِثرا» الفارسي (الذي يمثل الشمس كذلك) كان يكرَّم بقرابين مماثلة كما كان «أبولُّو» أيضاً. إرميا يوبخ سكان يهوذا وأورشليم على [بناء] «مُرْتَفَعَاتٍ لِعِبَادَةِ الْبَعْلِ لِيُحْرِقُوا بَنِيهِمْ بِالنَّارِ كَقَرَابِينَ مُحْرَقَاتٍ لِلْبَعْلِ» (١٩ : ٥) - وهذا التعبير يبدو فيصلاً في حقيقة القتل بالنار لأضحية بعلٍ الشقية[١].

بل إن هناك من العلماء من اعتبر «بعلاً» مصدراً لإله اليهود «يَهْوَه». يقول «مايكل كوجان» Michael Coogan - أستاذ الدراسات الدينية بجامعة «هارفَرد» سابقاً ومدير مطبوعات «المتحف الساميّ بهارفرد» - في كتابه «قَصصٌ من كنعان القديمة»:

> إن أحد أسبابِ انجذاب الإسرائيليين لـ«بعلية» والدمجِ

(1) *Calmet's Dictionary of the Holy Bible* (Boston: Crocker and Brewster, 1832), p. 120.

المستهام

التلفيقي بين «يهوه» و«بعل» هو أن العديد من صفات يهوه والكثيرَ من أساليب اللغة التي تستعمل لوصفه اقتُبست من منافسه الكنعـاني [بعل]. فكلاهما يُدعى «مُمتطي العَنان» (يهوه في المزامير ٦٨ : ٤)، وبعض المفسرين يقترح بأن المزمور ٢٩ كان في أصله ترنيمة لبعل؛ فلغته علـى أية حـال مألـوفة لدى قـارئ دورة «بعـل» . . . إن شخصـية إله إسـرائيل إذن مُركّبـة؛ فبينما «يهوه» في أساسه هو صـورة لـ«إل» El فإن صُوَره وصِيَغه التي تميزه عن «إل» مستقـاة مـن لاهـوت [أي عقيدة] بعل[١].

بل لقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن «بعلاً» ما هو إلا لقب لـ«يهوه» وأن العبادتين متزامنتان.[٢] فـ«يهوه» إذن يمثل ما يمثله «بعل»؛ بل لقد كانت القرابين البشرية تقدم له كما تقدم لبعل إله الشمس كما يؤكد ذلك «قاموس إيردمنز للكتاب المقدس» Eerdmans Dictionary of the Bible، بل يربطه بالإله «مولك» الذي اشتهر بالقرابين البشرية[٣].

وقد تخرص الباحثون أيّما تخرص في اسم «مولَك» Molech (وأحياناً Moloch) وأوهموا القارئ بأن تفسيره معضلة من المعضلات مع أن أمره

(1) Coogan, Michael. *Stories from Ancient Canaan* (Westminster John Knox Press, 1978), p. 20.

(2) Smith, Mark S. *The Early History of God* (Wm. B. Eerdmans Publishing, 2002), p. 65.

(3) Freedman, David N. *Eerdmans Dictionary of the Bible* (Wm. B. Eerdmans Publishing2000 .), p. 913.

ليس بالغموض الذي يدّعون. فقد ورد اسمه ثماني مرار في النص العبراني للعهد القديم، كتب في سبع منها مسبوقاً بلام الجر (ل-مْ-ل-كْ) وفي الثامنة بـ«هـ» التعريف العبرانية هكذا (هـ-مْ-ل-كْ) علماً بأن الحركات لم تُضَف إلى النص العبراني للعهد القديم إلا في القرن السادس الميلادي على أبعد تقدير، أي بعد كتابة النص بأكثر من ألف عام. ولهذا فالاسم هو مجرد الكلمة العبرانية «م-ل-كْ»[1] والتي تعني «مَلِك». وبهذا الفهم ترجمته النسخة السبعونية في أكثر المواضع[2].

فمن يا ترى هذا الإله الذي عُرف بـ«المَلِك»؟ نقرأ في سفر اللاويين هذه العبارة: «لاَ تُجِزْ أَحَدَ أَبْنَائِكَ فِي النَّارِ قُرْبَاناً لِلْوَثَنِ مُولَكَ، لِئَلاَّ تُدَنِّسَ اسْمَ إِلَهِكَ»[3] وقد ورد هذا الربط بين هذا الصنم وبين قربان الأبناء أربع مرار في هذا السفر لوحده. كما نقرأ في سفر «إرميا»: «وَبَنَوْا الْمُرْتَفَعَاتِ لِلْبَعْلِ فِي وَادِي ابْنِ هِنُّومَ لِيُجِيزُوا فِي النَّارِ أَبْنَاءَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ لِمُولَكَ». وهو صريح في تلاعب المترجمين إذ كيف تُبنى المرتفعات لبعل وتكون القرابين لغيره؟

فـ«المولَك» و«البعل» هما إذن وصفان لذات الإله (ربما «يهوه»). وهما يقابلان في معنيهما «المَلِك» و«المالِك» في لغة العرب. وبهذا تكون ترجمة النص: «وَبَنَوْا الْمُرْتَفَعَاتِ لِلْبَعْلِ فِي وَادِي ابْنِ هِنُّومَ لِيُجِيزُوا فِي النَّارِ أَبْنَاءَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ لِلْملك [إي بعل]» فيزول بذلك الالتباس.

(١) «الكاف» النهائية الساكنة تلفظ «خاءً» في العبرانية.

(٢) السبعونية: هي النسخة اليونانية للعهد القديم. وهي أقدم من النص العبراني المتداول.

(٣) اللاويين ١٨ : ٢١.

فهما إله واحد كما أقر بذلك الكثير من العلماء منهم على سبيل المثال لا الحصر «جورج ستانلي فيبر» George Stanley Faber اللاهوتي الأنجليكاني الشهير الذي يقول: "من الواضح أن البعل ومولك هما اسمان للإله الشمسي ذاته[1]».

أما حول حقيقة حرق القرابين فيعلق «قاموس سميث للكتاب المقدس» Smith's Bible Dictionary رداً على من قال بأن القرابين لا تُحرَق حقيقية وإنما تُجازُ بين نارين بقوله: "إن الإشارات إلى الذبح الحقيقي أوضح من أن تغفل. وابن عزرا [المفسر اليهودي] في تعليقه على (اللاويين ١٨ : ٢١) يقول بأن «تُجز» بمعنى «تُحرق». «ثم يضيف القاموس بأن «مولك إله اللهب وبعلاً إله الشمس - مهما كانت صفاتهم الخاصة وسواء كان الآخر لقباً عاماً يشمل الأول أم لا - كانا يعبدان بنفس الطقوس[2]».

نار فارس ونار اليهود:

فهيكل اليهود إذن كان هيكلاً للشمس سواء عُرفت هذه الشمس باسم «بعل» أو «مولك» أو «يهوه». وكان سدنته من «شيوخ إسرائيل» الذين أنتجتهم مدرسة فارس في بابل. ولكنْ هذه الشمس فما بال النار؟ أوليست النار لفارس؟

(1) Faber, George S. *The Origin of Pagan Idolatry* (Garland Pub. Co., 1984), vol. II, p. 208.

(2) *Smith's Bible Dictionary* (Grand Rapids: Baker Book House, 1971), vol. III, p. 1992.

إن العجب يزول عندما نعلم أن «مجدد شريعة اليهود» و«جامع التوراة المزيفة» كما نعرفها اليوم هو الكاهن «عزرا» الذي ارتبط ببلاط الملك الفارسي «أرتحششتا» وكان في الفوج الثاني ممن عادوا إلى فلسطين بعد مئة عام من بناء الهيكل[1]. فلفق «عزرا» ما بقي من آثار تاريخ بدء الخليقة ثم تاريخ أنبياء الله عليهم السلام مع ما علمه من عقائد الفرس وكل ذلك في بوتقة «مدرسة فارس» فكان بحقٍ مؤسساً لما عرف فيما بعد بـ«اليهودية الحاخامية» Rabbinical Judaism. وقد أحسن «ماكس ديمونت» Max Dimont عندما وصفه ورفيقَه «نَحَمْيا»[2] الذي عاش في البلاط الفارسي كذلك بـ «بولُسَي يهوديةٍ جديدةٍ»[3] أي أنهما قاما بنفس الدور الذي قام به «بولس» اليهودي الفريسي بتحريفه النصرانية تحت رعاية «مدرسة روما» كما سنرى.

إن مما نقله الإمامُ الطبري في تاريخه: "قال هشام: وفي زمان «بشتاسب» ظهر «زرادشت» الذي تزعم المجوس أنه نبيهم. وكان «زرادشت» - فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب - من أهل فلسطين، خادماً لبعض تلامذة «إرميا» النبي خاصاً به،[4] أثيراً عنده، فخانه فكَذَب عليه، فدعا الله عليه، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان، فشرع بها دين المجوسية[5]". وفي هذا - إن

(١) عزرا ٧.

(٢) هناك من العلماء من يرى أن «عزرا» و«نحميا» هما نفس الشخص.

(3) Dimont, Max I. *Jews, God and History* (New York: New American Library, 1994), p. 62.

(٤) سبق الحديث عن إرميا وتوبيخه لبني إسرائيل في فلسطين ثم مصر بسبب عبادتهم للأوثان.

(٥) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك (دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧هـ) ١/ ٢١٩ (وفق ترقيم «المكتبة الشاملة» - الإصدار الثاني).

ثبت – بيان لشخصية الوسيط بين «يهود الهيكل الثاني» وبين «المجوس» كهنةِ فارس. وهذا الارتباط بين الديانتين تجليه مجلة The Monthly Review العريقة في عددها الصادر عام ١٨٢٠م بقولها:

> إن ديانة الإمبراطورية الفَرثية [الفارسية] من زمن «كورش» إلى الغزو المقدوني يمكن أن يقال إنها كانت مطابقة لدين اليهود حيث حَفظ «عزرا» بياناً أصيلاً حول «كورش» يسجل هذه الحقيقة العظمى بمهابة وإجلال؛ كما أن سفر «إستير» يروي راضياً ذلك المنع للكهانة الوثنية الذي أسماه «هيرودوت» (ماجوفونيا) Magophonia [أي «قتل المجوس»] والذي تم بالتزامن مع «دانيال» في ظل حكم «داريوس»، والذي يُحتفل به سنوياً في هيكل أورشليم باسم عيد «الفوريم». لقد كانت فلسطين بالنسبة للفرس كما هي التِّبت بالنسبة للصينيين، كانت [تعني] السيادةَ المستقلة والأرضَ المقدسة لكهنة الإمبراطورية [الفارسية]. إذا كان «زوروآستر» الإغريقي هو «عزرا» التاريخِ اليهودي، فهو كذلك «زرادشت» الفرس[1].

على الرغم من أن الكاتب يقف هنا موقف المدافع عن عقيدة اليهود بقلبِ بعضِ الحقائق إلا أنه أقر بما لا مزيد عليه بالعلاقة بين الديانتين، بل أورد

(1) *The Monthly Review*, "Mill's History of Muhammedanism", Issue 91, (R. Griffiths, 1820), p. 200.

المسيرة هم

احتمال أن يكون «عزرا» هو «زرادشت» وهو ما قال به بعض العلماء، وإن كانت حياة «زرادشت» غامضة تجعل من الصعب الجزم بهذا. ولكن سواء كان «عزرا» فارسياً أدخل المجوسية إلى اليهودية أم يهودياً مزج عقائد اليهود بعقائد فارس أثناء السبي فهو بلا ريب حلقة وصل بين الطرفين، والعبادة التي نقلها لم تكن توحيداً بحال من الأحوال كما أثبتُّ ذلك من أسفارهم. بل إن الفرقة اليهودية التي عُرفت فيما بعد بال«فَريسيين» لم تكن سوى سدنة الهيكل «الفارسيين» المجوس (أو «شيوخ شعب إسرائيل» كما في سفر حزقيال) الذين جاءوا بعد السبي.

يقول وريثُ عِبادة الشمس الماسونيُّ المعروف «ألبِرْت بايك» Albert Pike: "كان النظام [العقدي] السائد بين اليهود بعد السبي هو نظام «الفِروشيم» أو «الفريسيين». وسواء اشتق اسمهم من «الفارسيين» أو أتباع «زوروآستر» [زرادشت] فإن اليقين أنهم استعاروا كثيراً من عقائدهم من الفرس"[1].

إن النار التي يعبدها المجوس - كهنةُ فارس - هي ذاتُ النار التي كان يوقدها «كهنة الهيكل» لبعل إله الشمس، فقد كان المجوس يعبدون الشمس، ويجعلون النار صورة أرضية للجرم السماوي. قال الإمام الطبري في تفسيره: "... عن قَتادة، في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا

(1) Pike, Albert. *Morals and Dogma of the Ancient and Accepted Scottish Rite of Freemasonry* (Charleston: L. Jenkins, 1961), p. 259.

والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ﴾ [الحج: ١٧] قال: الصابئون[١]: قوم يعبدون الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرءون الزبور. والمجوس: يعبدون الشمس والقمر والنيران[٢]".

وهذا مما لا يجهله من وقف على عقائد القوم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن فارس كانت تعظم الأنوار، وتسجد للشمس وللنار[٣]".

---

(١) التحقيق - كما فصل شيخ الإسلام - أن "الصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون، وصابئة مشركون. فالأولون هم الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة: ٦٢]. فأثنى على من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من هذه الملل الأربع: المؤمنين، واليهود، والنصارى، والصابئين. فهؤلاء كانوا يدينون بالتوراة قبل النسخ و التبديل. وكذلك الذين دانوا بالإنجيل قبل النسخ و التبديل. والصابئون الذين كانوا قبل هؤلاء كالمتبعين لملة إبراهيم إمام الحنفاء - صلى الله عليه وصلى الله على محمد وعلى آل محمد كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنه حميد مجيد - قبل نزول التوراة والإنجيل. وهذا بخلاف المجوس والمشركين، فإنه ليس فيهم مؤمن. فلهذا قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كُل شيء شهيدٌ ﴾ [الحج: ١٧]. فذكَر الملل الستَّ هؤلاء، وأخبر أنه يَفصل بينهم يوم القيامة. لم يذكر في الستّ من كان مؤمنا إنما ذكر ذلك في الأربعة فقط". («الرد على المنطقيين» ص ٣٣٤، ت. الكتبي).

(٢) الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ) ١٨/ ٥٨٤.

(٣) ابن تيمية. مجموع الفتاوى (دار الوفاء، ١٤٢٦هـ) الطبعة الثالثة، ج ٨، ص ١٤١. قال الإمام النووي في «المجموع» ٢/ ١٩٣: "من البدع المنكرة ما يفعل في كثير من البلدان من إيقاد القناديل الكثيرة العظيمة السرف في ليال معروفة من السنة كليلة نصف شعبان فيحصل بسبب ذلك مفاسد كثيرة منها مضاهاة المجوس في الاعتناء بالنار والإكثار منها . . .".

وحول نار اليهود هذه يقول «قاموس كالميه للكتاب المقدس»:

إن الكتاب المقدس يدعو الهياكل التي تُنذَر لبعل، أي الشمس، «حامانيم»... لقد كانت أماكن محاطة بجدران، وفي داخلها تُرعَى نار دائمة؛ لقد كانت شائعة في المشرق خصوصاً بين الفرس؛ أما الإغريق فيدعونها pyreia أو pyratheia من الكلمة الإغريقية pyr[1] أي «نار» أو pyra بمعنى «كومة محرقة جنائزية». كان فيها كما يقول «سترابون» مذبحٌ ووفرةٌ من الرماد ونارٌ لا ينبغي أن تنطفئ[2].

فلا فرق إذن بين نار اليهود التي تنذر لبعل ونار المجوس. وإذا عُلم اتحاد المصدر بطل بذلك العجب.

مدرسةُ فارس والفلاسفةُ:

منذ بداية القرن السابع ق.م. تعرضت اليونان لموجات المهاجرين الفينيقيين «الكنعانيين» الذين منحوا اليونان كثيراً من ثقافتها بدءاً بأحرف الكتابة ثم أساطير «بعل وعشتار». وخلافاً لما يشيع اليوم فإن حضارة الإغريق القديمة كانت في أصولها حضارة شرقية لا غربية. يقول أحد العلماء الألمان: "والحالة هذه فلا ينبغي أن ننكر على من يتسائل عما إذا كان هناك شيء في اليونان القديمة لم يأت من المشرق[3]".

(١) كذلك اشتُقت منها الكلمة الإنجليزية fire وتعني «النار».

(2) *Calmet's Dictionary of the Holy Bible*, p. 120.

(3) West, Martin L. *The East Face of Helicon* (Oxford University Press, 1997), p. 11-12.

كان مما تناقله الإغريق أسطورة قديمة ذكرها كاتب «ترانيم هومِروس» (٦٥٠ ق.م.) تحكي اختطاف إلاهة الشمس «كوري» Kore (أو «برسفوني» Persephone) من قبل «هاديز» Hades «إله العالم السفلي» بموافقة أبيها «زيوس» Zeus بينما كانت تقطف الزهور. وبعد بحث طويل تثور أمها «ديميتر» Demeter لتلقي جفافاً على وجه الأرض. مما دفع «زيوس» إلى التدخل وإعادتها إلى أمها على أن تبقى مع «هاديز» ستة أشهر من كل عام.

أصبحت أسطورة «ديميتر» و«برسفوني» هذه أساساً لما عرف بـ«الأسرار الإليوسينية» Eleusinian Mysteries نسبة إلى مدينة «إليوسينا» الإغريقية.[١] وهي كما ترى تدور في فلك أسطورة «هبوط إنانا إلى العالم السفلي». كذلك فإن «برسفوني» هنا كما يؤكد «بيترزمان» Petersman إلاهة شمس تصوِّر دورة الشمس بين الفصول كما كان «تموز» أو «بعل». بل إن «بيترزمان» يرى أن اسمها مشتق من كلمة persa الإيجية وتعني «النيِّرة».[٢] غير أن المشهور أن اسمها يعني «قاتلة الهلاك».

أما في النسخة الأخرى للأسطورة فتخفي الإلاهة «ديميتر» ابنتها «برسفوني» في أحد الكهوف فيصل إليها الإله «زيوس» في هيئة ثعبان ويضاجعها فتحمل منه وليدها «ديونيسوس» Dionysus (أو «باخوس» Bacchus عند الرومان). وعندما تعلم زوجته الغيورة تحرض التيتان Titans على قتل الصغير فيمسكونه بعد أن تحول إلى هيئة ثور ويقطعونه

---

(١) وهي اليوم «إلفسينا» في اليونان.

(2) Antilla, Raimo. *Greek and Indo-European Etymology in Action* (John Benjamins Publishing Company, 2000), p. 164.

المسيرة

فتنبت من قطرات دمه أزهار الرمان. لكن الإلاهة «أثينا» (أو «هرمس») تنقذ قلبه وتعيده إلى أبيه «زيوس». ولاستحالته إلى ثور فهو يدعى «ابن البقرة» و«ذا القرنين». وهذه الأسطورة الأخرى تدور حولها «الأسرار الديونيسية» Dionysian Mysteries نسبة إلى اسم الإله «ديونيسوس». كما ترتبط بها كذلك «الأسرار الأورفية» Orphic Mysteries التي تُنسب إلى الشاعر الأسطوري «أورفيوس» Orpheus. وقد تأثر بهذه العقائد كبار فلاسفة الإغريق.

ظهرت «الأورفية» Orphism في القرن السادس ق.م. وسميت بذلك نسبة إلى مؤسسها الأسطوري «أورفيوس» Orpheus الذي يُزعم بأنه مات ثم قام من الأموات. وكان ممن تأثر بها كثيراً الفيلسوفان الإغريقيان «فيثاغورس» و«أفلاطون». وأثناء رحلاتهما إلى بابل التي كانت تحت حكم الفرس ومصرَ التي كانت تعبد الشمس أضافا إلى الأساطير تعلم التنجيم والسحر. فلما كانت بابل ومصر مصدراً لعقائد اليهود المحرفة توهم البعض أن الفلاسفة أخذوا التنجيم - الذي ظنوه حكمة لقمان - عن أنبياء بني إسرائيل. وإنما أخذوا عمن أخذ عنهم يهود «مدرسة فارس» من بابليين أو كلدانيين أو مجوس.

وإلى هذا أشار شيخ الإسلام بقوله: "وقد ذكروا أن أساطين الفلاسفة كفيثاغورس وسقراط وأفلاطون قدموا الشام وتعلموا الحكمة من لقمان وأصحاب داود وسليمان"[1]. وإنما تعلموها ممن بدلوا وحرفوا كلام هؤلاء

---

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١هـ) الطبعة الثانية، ج ٧، ص ٧٩-٨٠.

فإن كتبهم – باستثناء «سقراط» الذي لا نعلم حاله – تشهد لشركهم؛ إلا أن تكون قد بُدلت من بعدهم. وأما من زعم أن أفلاطون لقي موسى عليه السلام فقد أبعد النجعة فبينهما مئات السنين.

مثل هذا زعمُ الفيلسوف اليهودي «أرطَفانوس» Artapanus – الذي عاش في القرن الثالث ق.م. – أن موسى عليه السلام "في صورته الشابة كان يُدعى «موسايوس» Musaeus من قِبل الإغريق. وأن «موسايوس» هذا كان معلماً لـ«أورفيوس»"[1]. وحاشا كليم الله أن يكون معلماً لأولي الهذَيان الذي لم يظهروا إلا بعد وفاته بأكثر من سبعمائة عام. بيد أن كلام هذا الفيلسوف إقرارٌ منه بأن تعاليم اليهودية العِزرائية الفارسية التي ورثها مماثلة للباطنية الإغريقية التي تأثرت بنفس المصدر.

يقول «ف. م. كورنفورد» في كتابه «**من الدين إلى الفلسفة**»: "سواء قبلنا الفرضية القائلة بتأثير فارس المباشر على الإغريق الأيونيين في القرن السادس ق.م. أم لم نقبلها، فإن أي دارس للفكرين «الأورفي» و«الفيثاغوري» لا يمكن أن يفوته أن التماثل بينهما وبين الدين الفارسي قوي جداً لدرجة تُسوِّغ إعتبارنا إياهما تعبيرين عن نظرة الحياة ذاتها كما تُسوّغ استعمال أحد النظامين لتفسير الآخر"[2].

لقد كان «أورفيوس» يقف كل يوم على جبل «بانجيوم» ليحيّي الشمس

---

(1) Livingstone, David. *The Dying God: The Hidden History of Western Civilization* (Lincoln, NE: iUniverse, 2002), p. 152.

(2) Cornford, F. M. *From Religion to Philosophy* (Princeton University Press, 1991), p. 176.

المسلمون

باسم «أبولو» Apollo ويخاطبها بـ«أعظم الآلهة».[١] وكان «فيثاغورس» الذي تأثر بهذه النِحلة يقدِّم القرابين لـ«أبولو» في «دلفي» Delphi. بل كان هيكل «أبولو» هو الوحيد الذي يتعبد فيه «فيثاغورس».[٢] كان «أبولو» هذا إله شمس إذ أصبح يعرف فيما بعد باسم «أبولو هيليوس» Apollo Helios أي «أبولو الشمس».[٣] فهو بهذا لا يختلف عن «بعل» و«يهوه» وإن اختلفت الأسماء.

أما تأثر «أفلاطون» بمدرسة فارس فمعلوم. يقول الفيلسوف «برتراند رَسِل» Bertrand Russell في تأريخه للفلسفة الغربية: "من فيثاغورس دخلت عناصر أورفية في فلسفة أفلاطون، ومن أفلاطون إلى أكثر الفلسفات اللاحقة . . . "[٤]. أما «أرسطوبولوس» Aristobulus أحد فلاسفة اليهود في القرن الثاني ق.م. فيقول بأن «فيثاغورس» و«أفلاطون» أخذا كمّا كبيراً من علومهما من موسى عليه السلام - والمقصود في الحقيقة توراة «عزرا» الذي جندته فارس - وأنه:

> من الواضح أن «أفلاطون» حاكَى شريعتنا وأنه بحث بعناية كل عناصرها . . . فمن الجلي أنه أخذ أشياء كثيرة [منها]. لأنه

---

(1) Bamford, Christopher. *Homage to Pythagoras* (Steiner Books, 1994), p. 18.

(2) Tsekorakis, D. «Pythagoreanism or Platonism and Ancient Medicine?" *Aufstieg Und Niedergang Der Romischen Welt* (Walter de Gruyter, 1978), p. 372.

(3) *Wikipedia*, "Apollo" <http://en.wikipedia.org/wiki/Apollo>.

(4) Russell, Bertrand. *History of Western Philosophy* (London: Routledge Classics, 2004), p. 28.

كان عالماً كما كان «فيثاغورس» الذي نقل **العديد من عقائدنا ودمجها في نظامه العقدي**. يبدو لي أن «فيثاغورس» و«سقراط» و«أفلاطون» تبعوه [أي موسى عليه السلام] بعناية فائقة في كل الجوانب . . . . [١].

كما أن «إفدوكسوس الكنيدوسي» Eudoxus of Cnidus الذي كان تلميذا بارزاً من تلاميذ «أفلاطون» سافر إلى بابل ومصر ودرس في «هليوبوليس»[٢] حيث تعلم «حكمة الكهان» والتنجيم. يقول عنه المؤرخ الروماني «بلينيوس» Pliny بأنه "حاول أن يبرهن على أنه من بين كل فروع الفلسفة فإن «فن السحر» أشرفها وأنفعها"[٣]. علماً بأن الكلمة اللاتينية لـ«السحر» magice مأخوذة عن الأصل الإغريقي magikos وتعني «منسوبٌ إلى المجوس» أو «مجوسي» ثم أصبحت في الإنجليزية magic أي «السحر»[٤].

يقول «فِرنر ييجر» Werner Jaeger حول تأثير الفيلسوف الإغريقي «إفدوكسوس الكنيدوسي» على المدرسة الأفلاطونية:

إن ما لدينا من المادة [العلمية] - مع الأسف - لا يسمح لنا

---

(1) Kugel, James. *Traditions of the Bible* (Harvard University Press, 1998), p. 864.

(٢) هليوبوليس: مدينة مصرية قديمة كانت مقراً رئيساً لعبادة الشمس ومنه جاء اسمها الإغريقي هذا والذي يعني «مدينة الشمس».

(3) Pliny the Elder. *The Natural History* (London: Henry G. Bohn, 1855), Book XXX, Chap. 2.

(4) *Merriam Webster Dictionary*, "magic".

المستهام

بتقويم تام للتأثيرات الضخمة التي أحدثها هذا الرجل على الأفلاطونيين. إنها ترتبط جزئياً بإعجاب «الأكاديمية» بعلم الفلك عند الكلدانيين والسوريين الذين حصَّلَت من علمهم التجريبي حساب عدد دورات [الأفلاك] ومعرفة الكواكب السبعة . . . كما ترتبط هذه النزعة جزئياً بجاذبية الثنوية الدينية عند الفارسيين Parsees، والتي بدت مؤيدة للميتافيزيقيا الثنوية عند أفلاطون في كِبره. فروح العالم الشريرة التي تضاد الخيِّرة في كتاب «النواميس» Laws هي من فضل «زرادشت» Zarathustra الذي انجذب إليه أفلاطون نتيجة للمرحلة الرياضية التي انتهت إليها نظريته في المُثُل، وبسبب الثنوية الحادة التي تضمنتها. من ذلك الحين أصبحت الأكاديمية شغوفة بزرادشت وتعاليم المجوس[١].

بل إننا نجد أفلاطون في كتابه «النواميس» Laws يقدم فكراً تنجيمياً صارخاً؛ فهو يقترح أن يُقسَّم المواطنون إلى اثني عشر سبطاً يسمى كل واحد منهم باسم أحد الآلهة[٢]، وأن يكون تركيز دين الدولة على عبادة مشتركة لـ«أبولو» والشمس[٣]. كما أنه يصف الشمس والقمر بـ "الإلهين العظيمين"[٤]

(1) Jaeger, Werner W. *Aristotle* (Clarendon Press, 1960), p. 132.

(2) Burges, George. *Works of Plato*, "The Laws" (London: Henry G. Bohn, 1852), vol. V, p. 185.

(3) Burges, George. *Works of Plato*, "The Laws", vol. V, p. 506.

(4) Burges, George. *Works of Plato*, "The Laws", vol. V, p. 307.

المسبار

بل ويلح على أن يَتوجه إليها الجميع بالصلاة والقرابين[١].

بهذا يشهد «إ. ر. دودز» E. R. Dodds في كتابه «الإغريق واللاعقلاني» بقوله:

> يبدو أن اقتراحات [كتاب] «النواميس» تمنح الأجرام السماوية أهمية دينية كانت تفتقر إليها في العبادة الإغريقية المألوفة، على الرغم من احتمال وجود إرهاصات جزئية في الفكر والاستعمال الفيثاغوري. أما في «إبينوميس» Epinomis - الذي أميل إلى اعتباره عملاً من أعمال «أفلاطون» أو مما جمع من أعماله التي لم تنشر - فإننا نواجه عنصراً شرقياً وقد عُرض هنا بصراحة ألا وهو اقتراح عبادة الكواكب علانية[٢].

ولا غرو أن يجتمع اليهود والفلاسفة والمجوس على عبادة الكواكب والنور والنار فمصدرهم واحد.

خَلَفَ أفلاطونَ تلميذُه أرِسطو Aristotle (٣٤٨-٣٢٢ ق.م.) الذي أصبح في سن السابعة عشرة عضواً في «أكاديمية أفلاطون» كما أصبح معلماً للإسكندر المقدوني الذي يظن البعض أنه «ذو القرنين» المذكور في القرآن. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

(1) Livingstone, David. *The Dying God: The Hidden History of Western Civilization* (Lincoln, NE: iUniverse, 2002), p. 139.

(2) Dodds, E. R. *The Greeks and the Irrational* (University of California Press, 2004), p. 333, n. 7.

إن أرسطو باتفاقهم كان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدوني الذي تؤرخ به اليهود والنصارى التاريخ الرومي. وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة. وقد يظنون أن هذا هو «ذو القرنين» المذكور في القرآن وأن أرسطو كان وزيراً لذي القرنين المذكور في القرآن وهذا جهل. فإن هذا الإسكندر بن فيلبس لم يصل إلى بلاد الترك ولم يبن السد وإنما وصل إلى بلاد الفرس. وذو القرنين المذكور في القرآن وصل إلى شرق الأرض وغربها وكان متقدما على هذا. يقال: إن اسمه الإسكندر بن دارا وكان موحدا مؤمنا؛ وذاك مشركاً: كان يعبد هو وقومه الكواكب والأصنام ويعانون السحر كما كان أرسطو وقومه من اليونان مشركين يعبدون الأصنام ويعانون السحر ولهم في ذلك مصنفات وأخبارهم مشهورة وآثارهم ظاهرة بذلك[1].

فأرسطو إذن كان من عباد الكواكب والأصنام بل مارس السحر كما صنع أسلافه. وكذا كان تلميذه «الإسكندر المقدوني» المعروف بـ«الإسكندر العظيم» الذي استهل ما يعرف بالعصر الهيليني (الإغريقي).

كان العصر الهيليني بداية مرحلة حافلة بالاتصال بين اليهود والإغريق. يقول «كِليارخوس السُّولي» تلميذ «أرسطو» بأن معلمه تحاور ذات مرة مع يهودي وأثنى عليه بقوله: "حيث إنه [أي اليهودي] عايش الكثير من أهل

(١) مجموع الفتاوى. ج ٤، ص ٩٧-٩٨.

العلم فقد بلَّغنا من العلم أكثر مما تلقاه منا[١]".

كما أن «التلمود»[٢] و«عادِيّات» يوسيفوس[٣] يرويان أن كبير كهنة الهيكل في أورشليم عندما خاف مقدم «الإسكندر» بعساكره خرج لملاقاته. فلما رآه «الإسكندر» نزل عن فرسه وانحنى له. يضيف «يوسيفوس» في روايته أن «الإسكندر» عندما سئل عن ذلك أجاب "لَم أنحنِ له، بل للإله الذي أكرمه بمنصب كبير الكهنة، فقد رأيت هذا الرجل في رؤيا لابساً هذه المُسوح". ففسر «الإسكندر» الرؤيا على أنها فألٌ حسن وأخذ الأرض المقدسة سِلماً. فقرر حاخامات اليهود أن يسموا أول مولود بكرٍ بـ«الإسكندر» فصار الاسم فيهم إلى يومنا هذا. وبعد موت «الإسكندر» انقسمت إمبراطوريته.

القبالاه:

وجدت عقيدة «القبالاه» أصولها في هذا المزيج من المجوسية الثنوية والعزرائية (يهودية عزرا) والفلسفة الإغريقية التي تبلورت عند كثير من الحاخامات في شكلٍ باطني فلسفي معقد ينطلق من الاعتقاد بأن الإله عبارة عن تجليات نورانية عشرة تسمى «سِفيروت» تشكل البنية الداخلية للألوهية.

---

(1) Josephus. *Against Apion* (CD version, BibleWorks, LLC, 2003), I, 181.

(2) "Babylonian Tamlud Yoma 69a", as quoted in Schiffman, Lawrence H. *Texts and Traditions* (New Jersey: KTAV Publishing House, 1998), p. 133.

(3) Josephus. *Antiquities of the Jews* (CD version, BibleWorks, LLC, 2003), XI, 331-33.

المسهم

عرفت هذه العقيدة باسم «القبالاه» أي «القبول» أو «التلقي».

تنقسم القبّالاه إلى تيار أساسي هو تيار «قبّالاة الزوهار» - نسبة إلى كتاب «الزوهار» -تفرّعت عنه «القبالاه اللورانية». ولكن حينما تكون الإشارة إلى القبّالاه بشكل عام فإن المقصود عادةً هو «قبّالاة الزوهار».

يسجل كتاب الزوهار (أي «الإشراق») وصفاً لـ«حكمة» عبادة الشمس وارتباطها بعبادة الشيطان عند الشرقيين على لسان الحاخام «حِيًّا» إذ يقول:

> ... لعلك تتساءل عن جدوى هذه العبادة [عبادة الشمس]. من قديم الدهور عُرفت هذه الحكمة؛ وهي أن الشمس عندما تشرق وقبل أن تتجلى على ظهر البسيطة يتبدى الأمير الموكل بها [الشيطان] وقد كُتبت على رأسه الأحرف القدسية للاسم الأعظم. فبسلطان هذه الأحرف يَفتح كلَّ أبواب السماء ويحطمها ويجوز خلالها. ثم يدخل ذلك الأمير في الوهج المحيط بالشمس قبل أن تبزغ، ويبقى هنالك حتى تشرق وتلف العالم بنورها[1].

وهكذا أصبحت عبادة «الشمس» و«بعل» مطابِقةً لعبادة «الشيطان» الذي أسموه «لوسيفر» Lucifer أي «مانح النور». وليس انتشار ما يسمى «عبادة الشيطان» إلا جهداً عالمياً من قِبل عُباد الشمس البعليين ترعاه بعض الحكومات - كالحكومة الأمريكية والفاتيكان - لصرف الناس عن عبادة الله عز وجل

---

(1) *The Zohar, vol. 12, Ki Tisa, Sec. 3. Sun Worship*
<https://www.kabbalah.com/k/index.php/p=zohar/zohar&vol=24&sec=839>

ونشر الرذيلة التي هي من لوازم عبادة الشيطان. وبها يرتبط ما يسمى بـ«حركة العصر الجديد» وهي حركة تسعى إلى نشر الوثنية والسحر في أنحاء العالم.

وإذا كانت «القبالاه» قائمة على عبادة الأجرام السماوية فارتباطها بالسحر ارتباط لزوم ثابتٌ عند كل الأمم التي آمنت بتأثير الكواكب. وفي الحديث الذي رواه أبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رَسولُ الله ﷺ «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»[1].

وعليه فالقبَّاليون يرون أن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوى غريبة قوية ومعان خفية، وبالذات الأحرف الأربعة التي تكوِّن اسم «يهوه»، فلكل حرف أو نقطة أو شرطة قيمة عددية. وبإمكان الإنسان الخبير بأسرار القبَّالاه أن يفصل الحروف، ويجمع معادلها الرقمي ليستخلص معناها الحقيقي، كما أن من الممكن جَمْع الحروف الأولى من العبارات، وأن يُقرَأ عكساً لا طرداً ليصل المرء إلى معناها الباطني. وهناك أيضاً طريقة «حساب الجُمَّل» أو الـ«جِماتريا». كما ترتبط القبَّالاه في وجهها العملي بعدد من العلوم السحرية، مثل: التنجيم، والسيمياء، وقراءة الكف، وعمل الأحجبة، وتحضير الأرواح[2]. وهذه الممارسات القبالية أصبحت ممارسات السحرة إلى زماننا هذا، ومن اطلع على لفافات السحر وجدها تزخر بهذه الرموز الكفرية بل والكلمات العبرانية والسريانية أحياناً.

---

(١) رواه أحمد (٢٨٤٠) وأبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) وغيرهم. وصحح إسناده شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى.

(٢) لمزيد من التفصيل حول «القبالاه» راجع: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (دار الشروق)، المجلد الخامس، الجزء الثاني، «القبالاه» [وفقاً للمكتبة الشاملة].

قال الله - تعالى - عن اليهود: ﴿ ولـما جاءهُم رسُولٌ من عند الله مُصدقٌ لـما معهُم نبذ فريقٌ من الذين أُوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهُم لا يعلمون ﴿١٠١﴾ واتبعُوا ما تتلُو الشياطينُ على مُلك سُليمان وما كفر سُليمانُ ولكن الشياطين كفرُوا يُعلمُون الناس السحر وما أُنزل على الـملكين ببابل هارُوت ومارُوت وما يُعلمان من أحد حتى يقُولا إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفر فيتعلمُون منهُما ما يُفرقُون به بين الـمرء وزوجه وما هُم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله ويتعلمُون ما يضُرهُم ولا ينفعُهُم ولقد علمُوا لـمن اشتراهُ ما لهُ في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفُسهُم لو كانُوا يعلمُون ﴿١٠٢﴾ ولو أنهُم آمنُوا واتقوا لـمثُوبةٌ من عند الله خيرٌ لو كانُوا يعلمُون ﴾ [البقرة: ١٠١ - ١٠٣].

بقي أن أشير إلى أن من أكثر الجماعات القبالية الباطنية شهرة «الحركة الشبتانية» التي أسسها اليهودي المنافق «شبتاي زيفي» (١٦٢٦-١٦٧٦م) والتي يعرف أتباعها لدى القارئ العربي باسم «يهود الدونمه»، وكان لها دور في إسقاط الخلافة الإسلامية.